

بين يدي النص والشاعر:

يُمثّل الشّعْرُ العربيُّ رافداً تربويّاً مهمّاً في توجيه الأجيال، وبناء عقولهم وصياغة تفكيرهم وتهذيب نفوسهم، وتأتي قصيدة أبي الفتح البُستيّ والتي تُعرفُ أيضاً **بنونية البُستيّ** في طليعة هذا الأدب الرفيع، إذ تُعدُّ واحدةً من أندر قصائد الحكمة وأبلغها؛ لما اشتملت عليه من مواظب بليغة ونصائح ثمينة وحكم عظيمة، فجاءت كلماتها دعامةً للفكر القويم، وتأصيلاً للفضائل والقيم الإسلامية، وتوجيهاً تربويّاً يُعالج شؤون الحياة في شتى مجالاتها. والحق أنها قصيدة تفيض بالنصح والهداية والتبصير، ومع العذوبة والفصاحة والجزالة، وحسن الصنعة البلاغية الرشيقة، فهي كما قال ناظمها رحمه الله تعالى في أوائلها:

وأرع سمعك أمثلاً أفصلها كما يفصل ياقوت ومرجان

وهي أنطق دليل على رفعة أدبه، وبلاغة بيانه، وكياسة فكره، وصلاح نفسه، وقد ضمنها النصائح الغالية، والمواظب البليغة الواعية، فهي لائق منثورة، وجواهر منظومة، وكل بيت منها حكمة مستقلة بنفسه، يغني عن قراءة رسالة أو كتاب، فهي من خير الشعر الحكيم وأبلغه.

ملخص شامل يجمع أفكار القصيدة في فقرة مترابطة ومنظمة:

تتمحور القصيدة حول بناء شخصية الإنسان من الداخل، حيث يؤكد الشاعر أن قيمة الفرد الحقيقية تكمن في جمال روحه وأخلاقه لا في مظهره الجسدي. ويحثنا "البستي" على التحلي بصفات النبل ك الصفا عن المخطئ ومساعدة المحتاجين، مشدداً على أن التقوى والاستعانة بالله هما الركن الأقوى الذي يلجأ إليه الإنسان. كما يحذر من مغبة عمل الشر، ويدعو إلى القناعة كسبيل للسعادة، مختتماً ببيان فضل العلم في ربي العقول، وضرورة أخذ العبرة من تقلبات الزمن الذي لا يدوم فيه حال.

الفكرة العامة (جوهر النص):

التحلي بمكارم الأخلاق، والارتقاء بالنفس بالقيم الروحية والحكم العملية تضمن للإنسان السعادة والوقار في الدنيا.

الأفكار الرئيسية (تفصيل الأجزاء)

يمكن تقسيم الأبيات إلى أفكار رئيسة كالتالي:

صفوة علمي الكويت

١. **الأبيات (١-٣):** حقيقة إنسانية الإنسان تكمن في جوهر نفسه وأخلاقه (الصفحة) لا في مظهر جسده.

٢. **الأبيات (٣-٦):** للتعاون مع الناس، والاعتصام بحبل الله، والاستعانة به وحده في كل الأمور أهمية كبيرة.

٣. **الأبيات (٧-٨):** الجزاء من جنس العمل، والرضا بالقناعة هو سبيل الراحة النفسية.

٤. **الأبيات (٩-١٢):** فضل العلم في ربي العقول كبير، والحث على استخلاص العبر من تقلبات الزمن واجب

البيت الأول: أقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

يدعو الشاعر المرء إلى العناية بتهديب روحه وأخلاقه، لأن حقيقة جوهر الإنسانية تكمن في العقل والخلق لا في القوة البدنية.

البيت الثاني: وإن أساء مَسِيءٌ فليكن لك في ... عروض زلتها صفح وغفران

يحث الشاعر على مقابلة الإساءة بالتسامح والعفو، وأن يتسع قلبك لمغفرة أخطاء الآخرين.

البيت الثالث: وكُنْ على الدهر معواناً لذى أملٍ ... يرجو نَدَاكَ فإِنَّ الحَرَّ معوان

يشجّع الشاعر على الكرم ومساعدة المحتاجين والملهوفين، معتبراً أن إغاثة الناس هي شيمَةُ الأحرار.

البيت الرابع: واشدّد يدك بحبل الدين معتصماً ... فإنه الركن إن خانتك أركان

ينصّح الشاعر بالتمسك القوي بتعاليم الدين، فهو الملجأ الحصين والسند الدائم حين تخذلك الأسباب الدنيوية.

البيت الخامس: -من استعان بشير الله في طلب ... فإن ناصره عجز وخذلان

يقرّر الشاعر أن الاعتماد على غير الخالق في قضاء الحاجات يؤدي إلى الفشل والضياع.

البيت السادس: من يزرع الشر يحصد في عواقبه ... ندامه. ولحصد الزرع إبان

يحدّر الشاعر من فعل السوء، مؤكداً أن العقاب ستكون حتماً هي الندم في الوقت المقدر للجزاء.

البيت السابع: وذو القناعة راض في معيشته ... وصاحب الحرص إن أثرى فغضبان

يقارن الشاعر بين القنوع المستريح البال، وبين الطماع الذي لا يشبع مهما زاد ماله.

البيت الثامن: يا أيها العالم المَرَضَى سِرَّتَهُ ... أْبَشِرْ فَأَنْتَ بَغِيرِ الْمَاءِ رِيَّانَ

يمدحُ الشاعرُ العالمَ الذي يُطبِّقُ علمه، ويُسبِّبه علمه بالماء الذي يَزوي ظمأَ العقولِ والنفوسِ.

البيت التاسع: ويا أبا الجهلِ لو أَصْبَحْتَ في لَجَجٍ ... وَأَنْتَ ما بَيْنَها لا شَكَ عَطْشانَ

يصفُ الجاهلَ بأنَّه محرومٌ من المعنى الحقيقيِّ للحياة، حتى وإنْ غرقَ في نعمِ الدنيا وكثرةِ مالها.

البيت العاشر: لا تَحسَبَنَّ سُروراً دائماً أبداً ... من سَرَّةِ زَمَنٍ ساءَتْه أزمانَ

يُنَبِّهُ الشاعرُ إلى أنْ أحوالَ الدنيا متغيرةٌ، فلا الفرحُ يدومُ ولا الحزنُ يستمرُّ.

البيت الحادي عشر: خذْها سِوائرَ أمثالٍ مَهْدَبَةٍ ... فيها لَمَنَ يبتغى التبيانَ تبيانَ

يختتمُ الشاعرُ بدعوةِ القارئِ لتبني هذه الحِكَمِ والأمثالِ السائرة، لأنَّها تُوضِّحُ الحقائقَ لِمَن يبحثُ عن الفهمِ.

ملاحظة عامة:

تجمع هذه الأبيات بين التربية الأخلاقية والحكمة العملية، وهي تهدف في مجملها إلى بناء شخصية متزنة تنفع نفسها وتساهم في رقي مجتمعا.

هذه القصيدة ليست مجرد أبيات تُحفظ، بل هي دليل تشغيل للحياة يساعدنا على العيش باتزان.

تعد قصيدة "جواهر الحكم" لأبي الفتح البستي بمثابة خارطة طريق أخلاقية، ورأيي فيها أنها ليست مجرد أبيات شعرية للمدح أو الوصف، بل هي دستور عملي للحياة يتميز بالواقعية الشديدة.

الخلاصة:

النص في مجمله نص إصلاحِي بامتياز، نجح الشاعر فيه في صياغة قيم ثقيلة بكلمات رشيقة سهلة الحفظ، مما جعلها "جواهر" حقيقية تتوارثها الأجيال.

الغرض الرئيس من النص:

النصح والإرشاد والحكمة؛ حيث يهدف الشاعر إلى توجيه الإنسان نحو سلوك طريق الفضيلة، وتهذيب النفس بالدين والعلم والقناعة، وبيان حقيقة الوجود الإنساني المرتبط بالروح لا بالجسد.

إعداد الأستاذ. عبد الفتاح أمير

تنسيق الأستاذ. شعبان فيض الطاهر